الشهادة قيمة روحية واجتماعية عليا

بقلم : الدكتور احسان محمد الحسن
قسم الاجتماع ، كلية الآداب
جامعة بغداد

منذ اقدم العصور اقترنت قيمة الشهادة بالمبادىء والاعمال والمنجزات التاريخية البطولية التي جسدتها المجتمعات عبر مسيرتها الحضارية الطويلة . والشهادة في سبيل المبادىء والمعتقدات والدفاع عن الحق ضد الباطل واعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وحماية الوطن والتراث والمقدسات من شرور الاعداء والطامعين والمجرمين انما هي من اسمى قيم البطولة والتضحية التي لا يفهمها ولا يستوعب مضامينها وابعادها الروحية والانسانية الا المؤمنون بالمبادىء السماوية والارضية والمخلصون للوطن والامة والمضحون بكل شيء من اجل القضية التي يقاتلون من اجلها .

لذا يتميز الشهداء على غيرهم ويحتلون مكانة رفيعة في الحياتين الاولى والثانية . فالشهداء في الحياة الاولى يحظون بأحترام وتقدير وتبجيل وتكريم وامتنان ابناء شعبهم وأمتهم لأنهم وهبوا حياتهم رخيصة بدمائهم الزكية من اجل حمايتهم والدفاع عنهم ودرء الاخطار المحيطة بهم وجلب الحياة الكريمة والعفيفة لهم وتدمير اعدائهم وتسفيف احلامهم ومخططاتهم اللئيمة والشريرة(١) . والشهداء في ذات الوقت يلقون من

الله العزيز في الحياة الثانية الرحمة والمغفرة وحسن الثواب ويضعون في مكانة متميزة تأتي بعد مكانة الانبيـاء والصديقين(٢) . ذلك أنهـم قاتلوا وقتلوا في سبيل الله ، قاتلوا الكفار والملحدين والمشعوذين الذين يريدون بأعمالهم الشريرة والمنكرة أطفاء نور الله والاسـاءة للدين وقتل المؤمنين الصالحين وتفتيت الامة وبعثرة أمكاناتها .

وللمكانة المتميزة التي يحتلها الشهداء فى الحياتين الاولى والثانية نرى العرب المسلمين خلال التاريخ العربي الطويل يتسابقون اثناء المعارك فى نيل شرف الشهادة لان الشهادة تخلدهم وتخلد أمتهم وترفع قيمتها بين أمم العالم ، وانها تمكنهم من الفوز بمرضاة الله ودخول الجنة والتمتع بنعيمها وسرمديتها . ومقاتلونا الابطال فى معركة قادسية صدام المجيدة يحذون حذو أجدادهم الافذاذ فى التسابق لنيل شـرف الشهادة دفاعا عن الوطن والمبادىء والتراث والمقدسات ودفاعـا عن القيـم الدنيويـة والروحية الخيرة التي يؤمنون بها وانتقاما من الافعال الدنيئـة والشريرة والهمجية التي يرتكبهـا الفرس العنصريون ومن يقف خلفهـم من القوى الامبريالية والصهيونية وخونة الجنسية العربية بحق شعبنا وامتنا .

تهدف هذه الدراسة التحليلية الى القاء الاضـواء المنيرة على قيمة الشهادة كقيمة روحية واجتماعية عليـا . فالشهادة هي قيمة قديمة قدم المجتمع والحضارة والدين ولها تاريخ عريق تفتخر به الشعوب والامم . ذلك ان الشهادة تألقت تألقا عاليـا فى بداية عصر الاسلام خصوصا بعد المعارك التي خاضها المسلمون ضد المشركين ، المعارك التي كانت تدافـع عن الاسلام وتقـاتل كل من يريد اطفـاء نوره وقتل حركـة الانسـانية والتحـرريـة(٣) . واسـتمـرت قيمـة الشـهادة كـقيمـة ديـنيـة واجتماعية تؤدي دورها المتميز فى حث العرب المسلمين على الدفاع عن مبادئهم ومقدساتهم وتربة وطنهم وحقهم فىالحياة الكريمة. وقد برهنت

هذه القيمة الانسانية المهمة على قدرتها فى دفع الافراد والجماعات على التضحية بالنفس من أجل صيانة المجموع والدفاع عن المجتمع وحماية المعتقدات والمقدسات . ان هذه الدراسة تتناول أربعة موضوعات اساسية هي :

ا ـ الشهادة فى الاسلام

ب ـ الشهادة فى معركة قادسية صدام المجيدة

ج ـ الشهادة فى الفكر الاجتماعي للرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله)

د ـ مكانة الشهيد فى المجتمع الجديد

والان علينا دراسة هذه الموضوعات بالتفصيل .

ا ـ الشهادة في الاسلام

منذ القدم كانت اتجاهات القبائل العربية قبل الاسلام فى القتال متعددة ومتشعبة فمنها من كانت تقاتل حمية أو اعتداء ومنها من كانت تقاتل رغبة فى السمعة والجاه والنفوذ ومنها من كانت تقاتل من أجل المغانم والكسب ومنها من كانت تقاتل للتشفي والثأر ومنها من كانت تقاتل دفاعا عن الارض والقبيلة والقوم ومنها من كانت تقاتل حماية للشرف والعرض والنفس والمال والمبادىء والمقدسات(٤) . أو تقاتل من أجل بعض هذه الدوافع جميعا . وخلال القتال كان المقاتلون يقتلون من القبائل المتحاربة. والقتلى كانوا يسمون شهداء من قبل قبائلهم وأقوامهم . ومعنى الشهداء في الجاهلية مشتق من المدلول اللفظي للشهادة الذي هو الحضور او العلم او المشاهدة ، اي حضور المقاتل الى ارض المعركة ومشاركته الفعلية في القتال وقتله من قبل الاعداء ومشاهدة قومه لعملية قتله وعلمهم بنبأ استشهاده(٥) . ولما بزغ فجر الاسلام حدد الدين الجديد دوافع القتال في سبيل الله فحلل بعض الدوافع وحرم بعضها الاخر . فالمقاتل المسلم

الذي يقتل في المعارك التي حلل دوافعها الاسلام يعتبر شهيدا بينما لا يعتبر شهيدا اذا قتل في المعارك التي حرم دافعها الاسلام(٦) . فالذي يقاتل من أجل السمعة والنفوذ والعصبية والمال والاعتداء على الاخرين وظلمهم ويقتل في المعركة لا يعتبر شهيدا في الاسلام ، بينما الذي يقاتل دفاعا عن الارض والشرف والمقدسات ودفاعا عن الله ودينه المقدس وأعلاء كلمته وأوامره السماوية ويقتل في المعركة فهو الشهيد في الاسلام(٧) .

وقد وردت لفظة شهيد مفردة ومثناة ومجموعة خمسا وخمسين مرة في مختلف سور القرآن الكريم . وكانت في كل مورد منها ذات معنى منتزع من المعنى اللغوي للشهادة كقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون(٨) . وهذه الأية الكريمة تدل على أن الشهداء هم الذين ضحوا بأرواحهم من أجل الله وأوامره ورسالته السامية وأنهم يدخلون الجنة حال استشهادهم ولا يؤجلون الى يوم البعث والنشور . والشهيد أينما هو المشهود له بالحسنة لانه ضحى بحياته في سبيل الله(٩) . وقيل أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين وقف على قتلى معركة أحد قال « هؤلاء الذين أشهد عليهم » أي أشهد عليهم بالوفاء . أذن الشهيد في الاسلام هو من قتل في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا وغير مدبر(١٠) . بمعنى أخر يقال للمقتول في سبيل الله شهيد لأنه بذل نفسه في نصرة دين الله ولشهادته له بانه هو الحق وما سواه هو الباطل . وقد ورد مثل هذا المعنى لدى المفكرين المعاصرين الذين يعتقدون بأن الشهيد هو من أقتحم المعركة ضد الكفر والكافرين وبذل نفسه دفاعا عن معتقده حتى الموت أصدق شاهد على مصداقية ايمانه ومعتقده ، أو كان في عمله هذا شاهدا أمام الله على انه مصدق بذلك(١١) فهو لا يفتقر الى من يساعده ويشهد له معه على صحة يقينه وصدق أيمانه .

وقد قسم الفقهاء الشهداء الى ثلاثة انواع : شـــهيد الدنيا وهو من تطبق عليه أحكام الشهيد في الدنيا فلا يصلى عليه ولا يكفن بل يدفن في ثيابه ودمائه ، ولكنه لا يكون له من الثواب مثل ما يكون للشهداء في الأخرة لانه قاتل وقتل لغرض دنيوي . وشهيد الدنيا والآخرة وهو من قاتل وقتل لتكون كلمة الله هي العليا ، مخلصا لله مقبلا غير مدبر ، فهذا لا يصلى عليه ولا يكفن ويدفن في ثيابه ودمائه . وله في الآخرة من الله وعنده الثواب الجزيل والفضل الكبير(١٢) . ثم هناك شهيد الأخرة وهو من مات مبطونا او محروقا او بالطاعون او بالهدم . فهؤلاء جميعا يغسلون ويكفنون ويصلى عليهم ، غير ان لهم عند الله أجر الشـــهداء . وهكذا ننتهي الى القول بأن الشـــهادة وان ثبتت نصا لكل من مات بأحدى الخصال المذكورة آنفا غير انها تتفاضل وأعلاها وأجدرها بالتعظيم بل والتي أثنى الله على اصحابها وأخبر عنهم بأنهم أحياء هو الشهادة التي يفوز بها من قتل في المعركة مع الكافرين لتكون كلمة الله هي العليا(١٣) . لذا فشـــهادة شـــهيد المعركة تمتاز على شهادة الحرق والغريق . كما ان حياة الشهيد عند ربه تمتاز على حياة الاموات الصالحين عند الله . وشـــهيد المعركة ايضا هو الذي يعنيه الكتاب الكريم واغلب الاحاديث الشريفة التي تعرضت لهذا الموضوع. فهو وحده يســـتحق ان يفوز بذلك الفضل العظيم والمصير المرموق الذي يواكب فيه مســـيرة الانبياء والصديقين والصالحين والذي يمكنـــه بعد الاستشهاد ان يتمنى العودة الى الدنيا ليموت في مصاولة الكافرين ثانية وثالثة ورابعة .

ولكن اذا كان الموت سنة كونية ونهاية طبيعية لكل موجود وبالتالي لكل انسان فما أجمل ان تكون نهاية الانسان نهاية مشرفة . والدفاع عن النفس والمال والعرض والوطن والمعتقد وسيلة خطرة وقد تورد صاحبها حتفه ولكنها مع ذلك ضرورة البقاء والاستمرار وظاهرة الكرامة والشرف والعزة والمنعة عند الافراد والأمم . واذا كان الدفاع هذا جهادا في سبيل

الله في سبيل المثل العليا التي احتضنتها كتب السماء ورعتها وأمرت بتكريمها وحراستها في سبيل الحق والفضيلة والبر والعدالة والحرية والكرامة كان أجدر بأن يبجل ذلك المعنى العظيم وان ينتهي بصاحبه الى التكريم الاسمى والتشريف الاصدق ممن بيده القدرة وهو على كل شيء قدير . يقول تعالى « أفحسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله »(١٤) . لكن الجهاد هو طريق مزروع بالاشواك كثير العقبات متنوع الصعاب محفوف بالمكارة والشدائد . ولكنه سبيل قلة من البشر هم في مصاف السابقين ومع النبيين والصالحين وهم علية الناس وصفوة الخلق بعد الرسل والانبياء والصديقين انه طريق الشهداء. قال تعالى « أن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين »(١٥) . وقد علق السهيلي على هذه الآية بقوله « وفيه فضل عظيم للشهداء وتنبيه على حب الله أياهم » حيث قال « ويتخذ منكم شهداء »(١٦) . ولا يقال اتخذت ولا اتخذ الا في مصطفى محبوب .

ومن الجدير بالاشارة الى ان طريق الشهادة مملوء بالفضائل والكرائم ، علما بأن معرفة هذا الطريق انما هي معرفة نقلية وعقلية . فما يتعلق بالطريق العقلي للشهادة ندرك أن الكرم فضيلة انسانية تشرف صاحبها وتعلي ذكره بين الناس . فاذا كان الانسان سخيا أريحيا جوادا ينفق من ماله يمينا وشمالا كان محبوبا فيهم ومكرما عندهم بل مقدما الى مراكز الصدارة بينهم والمال والمتاع اذا قورنا بالنفس والروح لم يؤوبا شيئا مذكورا وارتفاع الانسان الى مرتبة يكون فيها مستعدا لبذل النفس والروح فداء عقيدته ووطنه وقومه ، أرتفاع الى مكانة يعجز ان يرقى الى مثل درجتها الكريم الذي ينفق ماله على أخوانه سمخاء . وقد قال الشاعر مروان بن ابي حفصة :

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

واما ما يتعلق بالطريق النقلي فقد روى الامام مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وجبت له الجنة . فعجب لها أبو سعيد . فقال أعدها علي يا رسول الله . ففعل ثم قال : « وأخرى يرفع بها العبد مئة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض» . قال وما هي يا رسول الله ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله . ونقل ايضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أي الناس افضل ؟ فقال : رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه ، ثم قال من ؟ قال مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ربه ويدع الناس من شره » .

وقد أنزل الله الشهداء برفقة الانبياء والصديقين والصالحين فقال « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً»(١٧) وجعل مرتبتهم سامية فهم في الدرجة الثالثة بعد الصديقين . وقد كتب البيضاوي تفسيرا لهذه الآية فقال : قسمهم أربعة أقسام حسب منازلهم في العلم والعمل . وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم ، وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل . ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى أطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها . ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في

اظهار الحق حتى بذلوا امهجهم في اعلاء كلمة الله . ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته(١٨) .

اذن الشهيد في الاسلام هو من دافع عن الارض والشرف والمال والمقدسات وقاتل الكافرين والملحدين في سبيل الله وحمى الدين وما يأمر به بكل صدق واخلاص ووفاء . والعمل البطولي والمشرف الذي يؤديه الشهيد يرفع مكانته وفضله عند الله ، فهو يأتي بعد النبيين والصديقين من حيث الدرجة التي يحتلها . اضافة الى مكانته المتميزة والمتألقة في المجتمع الاسلامي ، المكانة التي تجعله رمزا خالدا ومقدسا في المجتمع .

ب ـ الشهادة في معركة قادسية صدام المجيدة .

ظهرت في مجتمعنا العراقي بعد ثورة ١٧ ـ ٣٠ من تموز القومية التقدمية مجموعة من القيم والممارسات الايجابية التي ناضلت القيادة السياسية على زرعها وبلورتها ونشرها بين الافراد واعتمدتها كصيغ محددة للممارسات والعلاقات الاجتماعية بين الافراد والجماعات . ومن أبرز هذه القيم الشهادة والايثار والتضحية في سبيل الاخرين والتواضع والتسامح والمروءة والشهامة والشرف والصدق والاخلاص في العمل والتعاون وحب العمل الجماعي والنقد والنقد الذاتي واحترام الزمن والانضباط والدقة في أداء العمل والاعتزاز بماضي الامة العربية المجيدة وتراثها الحضاري الخالد وغيرها من القيم العربية الاسلامية الاصيلة التي يفتخر بها ويثمنها الجميع(١٩) . علما بأن هذه القيم ليست هي قيماً جديدة وانما هي قيم كانت موجودة منذ عصر الجاهلية . وعند ظهور الاسلام انكب قادة المسلمون على صقلها وتهذيبها واغنائها بعد ان ربطوها بمبادىء الدين الجديد وكيفوها للظروف الاجتماعية والحضارية للمجتمع العربي الاسلامي وحثوا الناس على ضرورة التمسك بها

واعتمادها في سلوكهم اليومي . وفعلا أدت هذه القيم دورها المتميز في نشر وترسيخ الدين الاسلامي وعززت البناء الحضاري بشقيه المادي والروحي للامة العربية الاسلامية عبر تاريخها المشرق والطويل .

وخلال فترة الجمود والتخلف والانكسار التي شهدتها الامة العربية الاسلامية بعد تكالب قوى الحقد والكراهية والعدوان عليها اضمحلت وضعفت القيم الحضارية للامة وتعطل دورها الفاعل في تنمية عناصر الحضارة ودفعها الى تحقيق اهدافها القريبة والبعيدة . الا ان قيم الامة ومبادءها الانسانية لم تمت ولم تنقرض قط بلّ ظلت راقدة احيانا ومهملة احيانا اخرى وسط المناخ المضطرب والمبعثر الذي شهده الوطن العربي ومنه العراق لفترات طويلة من الزمن ، فترات الهيمنة الاجنبية والتبعية السياسية والاستلاب الحضاري والقومي . وخلال فترات الركود والبعثرة التي مرت بها قيم الامة كانت تتطلع الى الظروف الموضوعية المواتية التي تمكنها من اليقظة والوثوب والتحرر من الرواسب العالقة بها لكي تلعب دورها الحضاري في نهوض الامة وتحررها واستقلاليتها وتقدمها . وقد وجدت القيم التاريخية للامة المناخ المناسب الحر لليقظة والفاعلية والتنمية في ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز المجيدة فاخذت تشق طريقها في بعث الامة وتقدمها الحضاري والقومي .

وعندما تعرض قطرنا الصامد للعدوان الفارسي الشعوبي الذي كان يستهدف استقلاليته ووحدة ترابه وتقدمه وشرفه ومقدساته اخذت هذه القيم تؤدي دورها المتميز في وحدة وتماسك ابنائه لمواجهة الخطر والتصدي له وتمكين المقاتلين من دحر العدوان والانتصار على المعتدين وتعزيز روحية النصر ودعم حركة البناء والتنمية والنهوض في المجتمع. ومن هذه القيم قيمة الشهادة في سبيل الوطن وقيمة التعاون والتكاتف مع الاخرين وقيمة الصبر وتحمل المشاق وقيمة حب المهنة العسكرية

وقيمة التضحية والبذل والعطاء ... الخ من القيم الثورية والانسانية .

لقد ارتفعت قيمة الشهادة عاليا ابان معركة قادسية صدام المجيدة وتصدي العراق البطولي للعدوان الايراني الحاقد بقيادة بطل النصر والتحرير الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله . فالمقاتلون العراقيون الابطال على طول جبهات القتال كانوا يتسابقون في نيل شرف الشهادة وهم يدافعون عن حياض الوطن وكرامة الامة وتراثها الحضاري الخالد(٢٠) . لأن الشهادة هي رمز السيادة الوطنية والقومية ومقياس البذل والتضحية والفداء ودليل التلاحم والتماسك والتكاتف بين القوات المسلحة والشعب والقيادة والوسيلة التي من خلالها يخلد المقاتلون وتسجل اسماؤهم بأحرف من نور . لكن تسابق المقاتلين العراقيين في نيل شرف الشهادة خلال المعارك البطولية التي خاضوها مع قوات العدو الفارسي اللئيم كان يتأتى من المبادىء والقيم الروحية والانسانية التي استلهموها من تراث ومقدسات حضارتهم الخالدة ودينهم الاسلامي الحنيف وكان يعبر عن حبهم ووفائهم واخلاصهم للوطن والشعب والقيادة وكان يجسد عدالة القضية التي يقاتلون من أجلها وشرعية حقوقهم في أراضيهم ومياههم الاقليمية التي يريد الفرس التوسعيون غمطها والاعتداء على حرمتها .

ان قيمة الشهادة في سبيل الوطن والامة لا يمكن ان ترقى الى قدسيتها ومستواها ومرتبتها الانسانية والاجتماعية أية قيمة حضارية أخرى . فقيمة الشهادة تبقى قيمة شامخة ومتالقة ومشعة طالما انها المصدر الذي يدفع الانسان الى التضحية بأعز ما يملك ، التضحية بدمه وروحه من اجل المبادىء التي يعتقد بها ومن اجل نصرة الحق على الباطل ومن أجل سمعة وشرف الامة عندما تتعرض التحدي والاستفزاز والقهر والظلم ومن أجل الدفاع عن تراب الوطن الطاهر عندما يتعرض لخطر

العدوان والاحتلال والاستلاب(٢١) . لهذا تمجد المجتمعات شهداءها وتقيم أعمالهم ومنجزاتهم البطولية وتتذكر دائما القيم السامية التي يحملونها والتي قادت بهم الى الشهادة وتخلد اسماءهم في التاريخ وتعتبرهم شعلة مضيئة وهاجة تنير الطريق أمام الاجيال المتعاقبة .

والشهادة كقيمة اجتماعية عليا تتحلل الى ثلاثة عناصر تكوينية هي المبادىء التي يحملها المقاتل والشعور الذي ينتابه اثناء القتال والاندفاع الذي يحفزه على مقاتلة الاعداء وبعثرة صفوفهم الى أخر نفس(٢٢) . فالمقاتل الذي يؤمن بقيمة الشهادة في سبيل الدفاع عن الوطن وأداء الواجب المقدس الملقى على عاتقه انما هو المقاتل الذي يشعر بضرورة مواجهة العدو والتصدي له وافشال محاولاته التعرضية وتحقيق الانتصار الحاسم على قواته وتشكيلاته المقاتلة . ومثل هذا النمط من الشعور هو الذي يدفعه الى التقدم مع رفاقه في العقيدة والسلاح لمجابهة العدو ومناوئته والاشتباك معه والتفاني من أجل ابادته والحاق الهزيمة به وبقواته . علما بان المقاتل المؤمن بعدالة القضية التي يقاتل من اجلها والمتسلح بالمبادىء والقيم البطولية والانسانية والروحية أنما هو المقاتل الذي يتفانى في الدفاع عن وطنه والاستبسال في المعارك الحاسمة التي يخوضها مع الاعداء والحاقدين(٢٣) .

وتعتبر الشهادة من اعلى القيم الانسانية واكثرها قدسية في معركة قادسية صدام المجيدة ويكرم ويمجد شهداء المعركة وتسجل اسماؤهم باحرف من نور لأن شهادتهم كانت في ارض المعركة وهم يقاتلون العدو الفارسي المجوسي الحاقد بشجاعة واستبسال وروح مفعمة بالتضحية والايثار في سبيل المبادىء الخيرة التي يؤمنون بها ، مبادىء امتهم وثورتهم ومقدساتهم . وقتالهم للعدو الكافر والمتفطرس والمتعطش للدماء ومنازلتهم اياه على طول جبهات القتال لم تكن بسبب حبهم للقتال

او الحرب والدمار واحتلال اراضي الغير بل بسبب الدفاع عن حرمة اراضيهم والحفاظ على عرضهم وشرفهم ومقدساتهم وصيانة استقلاليتهم وتقدمهم ووحدة شعبهم وأمتهم وضمان مستقبل عوائلهم وأجيالهم من بعدهم . اضافة الى عدالة ومشروعية وقانونية القضية التي يقاتلون من اجلها ومعرفتهم بظلم وعنجهية واستهتار العدو وتعاونه مع اعداء امتهم وحضارتهم . لهذا ضحوا بأرواحهم الطاهرة وبذلوا أعز ما يملكون في سبيل القيم والمبادىء التي امنوا بها . فكانوا صادقين اوفياء لمبادئهم وأمتهم التي انجبتهم . انهم حقا شهداء ابرار وخالدون تتذكرهم الامة الى الابد وتحمل لهم آيات العز والوفاء والتبجيل وتعتبرهم رموزا شامخة تستمد منهم المبادىء والقوة والتصميم .

ان أعتزاز وافتخار الامة بشهدائها الذين دافعوا عنها وعن مقدساتها خلال اوقات المحن والشدائد ، ومبادرة القيادة الى تكريم الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم دفاعا عن القيم والمقدسات ، اضافة الى الاعمال والمنجزات والمآثر البطولية التي اتسموا بها هي التي ادت الى أعتبار قيمة الشهادة من القيم الانسانية المقدسة الى درجة أنها لا تضاهيها أية قيمة أخرى . وقيمة الشهداء عند الله سبحانه وتعالى عالية جدا ، فهم يأتون كما ذكرنا في المبحث السابق من ناحية المرتبة والجاه بعد الانبياء والصديقين . وعندما تكون قيمة الشهادة قيمة متميزة في الحياة الدنيوية والأخروية فلا غرابة أن نرى المقاتلين يتسابقون في نيل شرف الشهادة دفاعا عن الوطن والمقدسات وذودا عن حياض الامة وتراثها الخالد . ومثل هذه الحالة الفريدة من نوعها تفسر سر صمود وانتصار القطر العراقي الصامد على القوات الفارسية المعتدية في الجناح الشرقي من الوطن العربي .

بيد أن شجاعة واقدام المقاتل العراقي الباسل تنبعان من عدة مصادر

اساسية اهمها ايمانه المترسخ بقيم امته الخالدة كقيم التعاون والأيثار والشهادة في سبيل الوطن . ولعل القيمة الاخيرة تأتي في مقدمة القيم التي تحفزه على البذل والعطاء والتفاني في تحقيق الاهداف المرسومة له دون كلل او ملل . فالمقاتل بموجب مضامين وابعاد قيمة الشهادة التي يؤمن بها أما ان يتغلب على مواطن الاستفزاز والتحدي والتهديد والخطر وينتصر عليها لكي يعيش حياة حرة وكريمة هو واهله وشعبه وأمته او ان يستشهد في سبيل الدفاع عن حياض الوطن والامة . ذلك ان الشهادة والفناء من أجل عزة وكرامة الوطن خير من البقاء والعيش في ظروف الانكسار والذل والهوان اذا ما قدر للأجنبي الطامع لا سامح الله ان يحتل الوطن وينتهك حرمته ومقدساته(٢٤) . لذا يكون المقاتل العراقي في سوح الوغى مقاتلا بطلا صنديدا هدفه الانتصار على الاعداء وكسر شوكتهم وتعليمهم دروسا قاسية في الشجاعة والبطولة والاقدام . علما بأن شجاعة وجسارة واندفاع المقاتل في مقاتلة الاعداء تنبعث من القيم التي يحملها وينمسك بها خصوصا قيمة الشهادة في سبيل الله والوطن والمبادىء التي يضعها نصب عينيه ويتصرف بموجب فلسفتها وتعاليمها ونصوصها .

جـ ـ الشهادة في الفكر الاجتماعي للرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) :

تحتل قيمة الشهادة المرتبة الاولى بين القيم السلوكية الايجابية التي يؤكد عليها الرئيس القائد صدام حسين . ذلك ان الشهادة في سبيل الوطن هي أعلى قيم الأيثار والبطولة والتضحية(٢٥) ، فالمقاتل لا يمكن نيل شرف الشهادة دون اتسامه بمجموعة صفات نادرة يعتز بها ويثمنها الجميع كصفة الشجاعة والاقدام وصفة الاخلاص في أداء الواجب وصفة الأيثار والتضحية في سبيل الاخرين وصفة الشهامة والكرم . وهذه الصفات جميعها تحفز المقاتل الى الاستبسال في القتال والذود عن

حياض الوطن ومقارعة الاعداء الى اخر نفس . وعندما يلقى المقاتل الشهادة في سبيل الوطن نتيجة الصفات المتميزة التي يحملها وعدالة القضية التي يقاتل من اجلها يصبح شهيدا ويتميز في سلوكه البطولي على بقية الرجال . لهذا يقول الرئيس القائد صدام حسين « بأن الشهداء اكرم منا جميعا » .

وتفضيل الشهداء علينا يتأتى من سببين اساسيين اولهما ان الاعمال البطولية والمتميزة التي قاموا بها وهم يدافعون عن شرف الامة والمبادىء التي يؤمنون بها والتي ادت بهم الى الشهادة والخلود لا يمكن مقارنتها ابداً بالاعمال والواجبات التي نقوم بها نحن مهما تكن ثقيلة ومعقدة وصعبة وشائكة . فاعمالهم وتضحياتهم تفضل على اعمالنا وتضحياتنا لانها تنبعث من المبادىء الشريفة التي يتمسكون بها وتعبر عن اخلاصهم وتفانيهم في اداء الواجب وتجسد مصداقيتهم في القول والعمل . اضافة الى اهميتها في تحقيق الانتصار على العدو ودحره واجهاض مخططاته العدوانية ونواياه الشريرة ، وتمكين شعبنا وامتنا من العيش بسلام وامان وطمانينة تامة يمكن من خلالها تنمية المجتمع وتطويره في شتى المجالات والحقول وعلى كافة الاصعدة والمستويات . وثانيا ان تفضيل الشهداء علينا يكمن في حقيقة قيامهم بفناء انفسهم من اجل مهامهم وواجباتهم القتالية المقدسة التي تبعث روح الأمة والحياة والتفاؤل والمجد فينا وفي امتنا وتمكن مجتمعنا وحضارتنا من التقدم والنهوض على مر الزمن . وهكذا لم يعد الشهيد ذروة عالية في الأداء القتالي بل تجربة جديرة بالاقتداء والاحتذاء على مستوى العطاء والتصور واستخلاص العبرة والقيادة ايضا . فالشهيد قائد لأنه تحمل مهمة فذة ونذر نفسه لواجب ومسؤولية صعبة . فقد حقق مالم يستطيع غيره ان يحقق وقدم المثل والنموذج الاسمى وخط الدرب ووضع المشاعل في الطريق وقاد بدمه الى الانتصار والصمود والنهوض . لذا فهو وغيره من الشهداء

الابرار اكرم منا جميعاً كما يشير الى ذلك الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله .

ويخاطب الرئيس القائد الشهداء قائلا « لقد توسدتم الثرى قريري العيون ومرتاحي الضمائر وتربعتم عند استشهادكم في قمة المجد التي بلغتها جحافل جيشنا المنتصر وشعبنا العظيم . لقد ارتفعتم فوقنا جميعاً في مراتب العز وسبقتم الاحياء منا الى هذا الموقع الرفيع الشريف فاصبحتم غرة شامخة في بيرق النصر تسطع متالقة على هامات التاريخ في الحاضر والمستقبل وشعلة لا تنطفي في ضمير الشعب والامة العربية والاجيال الحاضرة والقادمة . لقد كنتم رمزنا كما كنتم اكثرنا كرماً حتى بين اولئك الذين جعلوا من انفسهم مشروعاً دائما للاستشهاد على طريق المباديء »(٢٦) . ان الكلمات المأثورة هذه التي يصف فيها الرئيس القائد الشهداء ويحدد مكانتهم عند القيادة والشعب والامة لتعبر بكل وضوح الدرجة المتميزة والعليا التي استطاع الشهداء بلوغها من خلال اعمالهم ومنجزاتهم البطولية الخالدة التي جلبت النصر للأمة ونورت وجهها ورفعت هامتها بعد كل المهانات والانكسارات والمؤمرات التي تعرضت لها على يد الاستعمار والخونة المارقين . كما اصبح الشهداء رموزاً خالدة يحتذى بها من قبل كافة الافراد والجماعات نظراً لما تتميز به من صفات فريدة ونادرة وما تحتله من سمعة رفيعة وسامية وما تتركه من اثر واضح على مسيرة المجتمع والحضارة .

ويعتبر الرئيس القائد الشهداء اكثر كرماً منا لانهم جادوا بأرواحهم الطاهرة وقدموا دماءهم الزكية قرباناً للوطن والامة ودفاعا عن الكرامة والشرف والمقدسات . علما بأن الجود او الكرم بالروح هو أثمن ما يمكن أن يقدمه الفرد لأهله ومجتمعه ، فهو يعلو على الكرم بالمال والمادة لأن المال والمادة لا يمكن ان يرقيا من حيث القيمة الى مستوى الروح او

النفس . اذن الشهيد يتميز بقيمة الكرم التي تعتبر من القيم الايجابية التي يتمسك بها المجتمع العربي الاسلامي . والكريم بروحه ودمه هو الكريم بماله وممتلكاته خصوصا عندما يكون الكرم في مكانه ، أي يخدم المبادىء والاهداف التي يتمسك بها المجتمع وهو في وقت الضيق والشدة .

وعراق قادسية صدام يعتز ويفتخر ويتشرف بالشهداء الابرار لأنهم دفعوا الظلم والقهر والأذى عنه وصانوا ترابه المقدس من دنس الاشرار والغزاة والمجرمين ورفعوا اسمه عاليا بين أقطار العالم وحافظوا على وحدة أبنائه وجلبوا له الاستقرار والطمأنينة والتطور ومكنوه من تحقيق أهدافه القريبة والبعيدة . وبعد كل المنجزات والانتصارات التي أحرزها الشهداء لقطرهم العراق ، اصبح قطرهم يتباهى بهم أمام الاقطار والأمم الاخرى . ويعتبرهم العز والمجد والشرف بعينه . كما ان عوائل وأقارب واصدقاء الشهداء أخذوا يفتخرون ويتباهون بشهدائهم أمام الأخرين ويعتبرون انفسهم مشاركين في التضحية وتحقيق الانتصار وبناء العراق القوي والمزدهر . لهذا اصبحوا مرفوعي الرؤوس والهامات وأصحاب الجاه والشرف في المجتمع . أما رفاق الشهداء في القوات المسلحة وأبناء الشعب بصورة عامة فقد أخذوا يعتبرون الشهداء رموزا حية وشامخة أمامهم يحتذون بها ويقلدونها ويكنون لها الاحترام والتقدير والمحبة والوفاء . كما راح هؤلاء يتسابقون الواحد مع الأخر في نيل شرف الشهادة وصولا للمكانة المتألقة والعالية التي يحتلها الشهداء في مجتمعنا الجديد . فالشهادة في سبيل الوطن والامة اصبحت في الوقت الحاضر طموحاً يتطلع اليه المواطنون على كافة مستوياتهم الثقافية والمهنية وخلفياتهم الاجتماعية والطبقية . لهذا يقول الرئيس القائد صدام حسين للشهداء « لقد اعتز بكم العراق وارتفعت رايته عالية واعتز بكم اهلكم فرفعوا رؤوسهم بين الناس بصورة متميزة وصار

رفاقكم في القوات المسلحة وأبناء الشعب يطمحون الى بلوغ منزلتكم ، فهذا عز ما بعده عز ومجد ما بعده مجد »(٢٧) .

ولا يمكن أعتبار الشهداء أمواتاً لأنهم خالدون ويعيشون بيننا ليل نهار ، أنهم الذين منحونا الحياة وحافظوا على سلامة مجتمعنا وصانوا حقوق ابنائه ودافعوا عن شرفهم وعزتهم وأبعدوا الشر والأذى عنهم وضمنوا حاضرهم ومستقبلهم . فالشهادة في سبيل الحق والعدالة وفي سبيل الامة والوطن وفي سبيل الشرف والمقدسات لا تعني مطلقاً الموت والفناء بل تعني البقاء والخلود والتالق والشموخ . لهذا عندما يخاطب الرئيس القائد الشهداء فأنه لا يخاطبهم كأموات بل يخاطبهم كرجال خالدين وأمجاد في المجتمع ، رجال صانوا الامانة ووفوا بالعهد وأدوا الواجب الملقى على عاتقهم بكل حرص وتضحية . فهم حقاً يستحقون التقدير والتكريم والتبجيل والوفاء من لدن القيادة والوطن والامة . لذا يناشد الرئيس القائد الشهداء قائلا « أننا لا نخاطبكم كرجال رحلوا من بيننا وأنما نتحدث اليكم رجالا أحياء تعيشون بين شعبكم وبين أخوانكم في القوات المسلحة وبين عائلاتكم الشريفة »(٢٨) . « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون»* صدق الله العظيم .

ويعاهد الرئيس القائد (حفظه الله) الشهداء كما يعاهد الشعب بأنه سيواصل الكفاح والعمل المتواصل ويبذل الجهد الجهيد في سبيل صيانة المبادىء التي أستشهد الشهداء من أجلها والحفاظ عليها وبلورتها ونشرها في ربوع المجتمع . أضافة الى تعهده بمواصلة مسيرة البناء والتطور الحضاري والعمل على تحقيق طموحات وأهداف الامة وأزالة كافة المشكلات والمعوقات التي تحول دون تحقيق وحدة الامة وقوتها ومجدها . وأخيرا يتعهد الرئيس القائد برعاية أسر الشهداء وتلبية كافة أحتياجاتها والعمل على تنشئة أطفالها تنشئة فاضلة تأخذ في عين

الاعتبار المبادىء التي استشهد من اجلها الأكرم منا جميعاً . وفي هذا الصدد يقول الرئيس القائد « فلكم منا العهد كما نعاهد شعبنا العظيم بأننا سنواصل النضال في مسيرة الحق والمبادىء من دون تردد او كلل وسنرعى اهلكم كما كان يرعاهم اكرمكم في الحياة بعون الله »(٢٩) .

د ـ مكانة الشهيد في المجتمع الجديد :

يحتل الشهداء مكانة متميزة في مجتمعنا الجديد ويحظون باحترام وتقدير وتقييم القيادة والشعب لهم ولعوائلهم الشريفة التي انجبتهم . ومكانة الشهيد في مجتمعنا أخذت ترتفع وتتألق أبان فترة معركة قادسية صدام المجيدة وذلك للتضحيات الجسيمة والاعمال البطولية الخالدة التي اداها الشهداء في المعارك والتي من خلالها استطاع العراق بقيادة بطل النصر والتحرير الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله صد العدوان الفارسي الشعوبي وافشال مخططاته التوسعية واهدافه الشريرة وتحويله الى منطلق للنصر والتحرير واعادة الحقوق المغتصبة الى اصحابها الشرعيين . غير ان منزلة الشهداء ومكانتهم الدينوية والروحية ومآثرهم وفضائلهم كانت بارزة ومتفوقة على مر الازمان والفترات والعهود التي تألق وسطع فيها نجم الامة العربية الاسلامية وتطورت حضارتها المادية وغير المادية بعد ان اصبحت مركزا للاشعاع والاستقطاب . في هذه الفترات كان الشهداء يحتلون مكانتهم الرفيعة في مجتمعاتهم وكانوا مقيمين ومكرمين عند الله سبحانه وتعالى(٣٠) . فهم يأتون من ناحية الدرجة والقربى الى الله العزيز بعد النبيين والصديقين كما أشرنا الى ذلك في المباحث السابقة من هذه الدراسة . وتقييمهم وتكريمهم الدنيوي والاخروي هذا كان نتيجة حتمية للتضحيات الجسيمة والافعال البطولية التي قاموا بها في سبيل الدفاع عن الوطن

والامة وحماية الشرف والتراث والمقدسات واعلاء كلمة الله ونشر وترسيخ رسالته السماوية المقدسة ودعم وتعزيز دينه القويم .

ان تقييم مجتمعنا الناهض للشهداء وذويهم لا يكون بسبب التضحيات الكبيرة التي قدموها في الدفاع عن الوطن والشرف والمقدسات فحسب بل يكون ايضا بسبب ايمانهم المترسخ في القضية التي قاتلوا واستشهدوا من أجلها وتمسكهم بالقيم والمبادىء التي دفعتهم الى تحدي المعتدين والغزاة ومقاتلتهم الى اخر نفس والتصاقهم بشعبهم وأمتهم ووطنهم وحبهم لأهلهم واصدقائهم ورفاقهم واستعدادهم على التضحية في سبيلهم . أضافة الى ايمانهم بقيم ومبادىء وتعاليم السماء التي تحثهم على مقاتلة أعداء الله والانسانية ومحاربة الظلم والكفر والألحاد والعنجهية والغرور . كما أن الشهداء الابرار رسموا بدمائهم الزكية طريق العز والكرامة والشرف والاستقلال والتقدم الذي يمكن ان يسير فيه ابناء امتهم تمهيدا لبلوغ غاياتهم وأهدافهم السامية التي ضحوا بحياتهم من اجلها . وطريق الشهادة والبطولة الذي سار فيه الشهداء الميامين هو ذات الطريق الذي يبعث الامل والتفاؤل والحياة في نفوس المواطنين ويحفزهم على خدمة امتهم خدمة صادقة وهادفة والمشاركة في بناء صرح حضارتها وتحقيق أهدافها القريبة والبعيدة . واخيرا ان دم الشهداء الذي سال في ساحات الوغى دفاعا عن الوطن والامة والحضارة انما هو رمز للعمل الصادق والمخلص وذكرى محببة للمواطنين تحفزهم على البذل والعطاء والتضحية في سبيل المجموع ودرس بليغ يوضح لهم همجية وغدر وخساسة الفرس الشعوبيين ومن يقف خلفهم من أعداء الامة وخونتها المارقين .

اذن المكانة المرموقة للشهيد تعتمد على الاعمال والمنجزات البطولية التي قدمها لوطنه وامته وتعتمد على صفاته ومآثره الخالدة التي تميز بها

عندما قدم روحه الطاهرة فداء للمجموع وتعتمد على الآثار الواضحة التي تركها في مجتمعه عندما ضحى بأعز ما يملك في سبيله . وفي هذا المبحث علينا فحص ودراسة مكانة الشهيد في مجتمعنا الناهض ، مجتمع قادسية صدام المجيدة الذي يحتل فيه الشهداء مكانة متميزة لا ترقى الى مستواها مكانة أي شخص مهما يكن مركزه ومهما تكن طبيعة الاعمال التي يؤديها والمسؤوليات التي يتحملها . ذلك ان الشهداء في مجتمعنا الجديد كما يقول الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله اكرم منا جميعاً . أن المجتمع العراقي لا يعتز ولا يفتخر بالشهداء فحسب بل يعتز ويفتخر بعوائلهم الشريفة التي أنجبتهم أيضا . فهم وعوائلهم يحتلون مراكز التقييم والشرف والافتخار لأنهم ضحوا للمجتمع اكثر من غيرهم . وتضحيتهم تتجسد في صد العدوان ودفع الشر والاذى عن الوطن وتمكينه من احراز النصر والتقدم والشموخ .

ان المكانة المرموقة للشهيد في المجتمع العراقي المعاصر تتجسد في المكاسب والمنجزات التي حققتها حكومة الثورة لهم ولعوائلهم وذلك اعترافا بأهميتهم الكبيرة وامتنانا لتضحياتهم وبطولاتهم اثناء الحرب مع العدو الفارسي اللئيم . فقد قررت القيادة السياسية اعتبار اليوم الاول من شهر كانون الاول من كل عام يوم الشهيد(٣١) ، وهو يوم عزيز على العراقيين يتذكرون فيه شهداءهم ويحتفلون بتمجيدهم وتبجيلهم وذكر مآثرهم البطولية . ويوم الشهيد هو يوم يقف فيه العراقيون عند التضحيات البطولية التي قدمها أبناؤهم دفاعا عن شعبهم وامتهم . واختارت القيادة يوم الاول من كانون الاول من كل عام ليكون يوم الشهيد أستذكارا لليوم الذي قامت فيه الطغمة الفارسية الحاقدة باعدام الاسرى العراقيين بعد فشل قواتها في معركة البسيتين عام ١٩٨١ .

وافتخار العراق بشهدائه الابرار حفز القيادة والمسؤولين على اقامة